نحو أدب إسلامي للمرأة

بقلم: د . ناول عبدالهادي
المغرب

تعيش المرأة المسلمة وضعاً حرجاً - لا تحسد عليه- ساهمت عدة عوامل في بلورته وترسيخه أهمها رواسب ومخلفات عصر الانحطاط الذي قزم دور المرأة، وحصره في نطاق ضيق جداً، إنجاب الأطفال وتربيتهم والاهتمام بشؤون الزوج والبيت، في حين أن المسؤولية الحقيقية للمرأة أكبر من ذلك بكثير وأخطر.. إنها مطالبة بالمساهمة في البناء الحضاري الإسلامي من خلال المشاركة الفاعلة في كل الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية.. ويبرز ذلك من خلال قوله جل وعلا: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ (التوبة: ٧٢). وقد أعطت أمهات المؤمنين والصحابيات الجليلات في عهد النبي صلى الله عليه وسلم نماذج حية لما ينبغي أن تكون عليه المرأة ومساهماتها في مجتمع المؤمنين.. ولكن عندما تم إلغاء هذا الدور، كان ذلك بمثابة ضربة قاضية للمرأة أشعرتها بالإحباط والمهانة مما جعلها تتقبل كل دعاوي الحرية والمساواة هيأها لتقليد المرأة الغربية، والاستجابة لمؤامرة التبعية بنفس راضية.

وقد ساعد على تسخير هذه الوضعية المتدنية التي تعيشها المرأة عدة أجهزها أغلبها متمثل في وسائل الإعلام التي أحسنت عملية الغزو الثقافي، واستغلت ماتعيشه المرأة المسلمة من فراغ لتشحنه بما تريد وكما تريد.. وإن نظرة على سوق الصحف والمجلات وعلى ما يعرض على شاشات التلفزيون وشاشات الفن السابع، وما ينشر من أقاصيص وروايات و... لتؤكد هذا الأمر!

إن استهداف المرأة بهذه المخططات الماكرة لم يأت اعتباطاً، وإنما هي خطة مدروسة ومقصودة لما في فساد المرأة من فساد المجتمع ككل.. والواقع الذي نعيشه خير شاهد على هذا.. ولا أحد يستطيع إنكار ما للأدب من مساهمة في خلق وتسخير هذا الوضع، مما يجعل من اللازم والضروري إعطاء مساحة لأدب المرأة المنبثق من التصور الإسلامي الشامل: أدب يعالج همومها ومشاكلها، يروي أشواق روحها، ويبصرها بمسؤوليتها ومهمتها الرسالية في الحياة.

إن ماهو متوافر بين أيدينا من إبداع إسلامي موجه للمرأة لا يكاد يعد شيئاً أمام الزحف المتنامي والمتوالي للآداب المتحررة، التي تكتسح الساحة سواء بصورتها المكتوبة، أو بعد تحويلها إلى مسلسلات وأفلام.. بل إن هذه النماذج الإبداعية الإسلامية المتوافرة يتعذر على بعضها القيام بوظيفته لإخلاله بكثير من مقومات الأدب وشروط الإبداع... مما يجعلنا أمام واقع لا يسر بأية حال من الأحوال، وهو ما يدعو إلى بذل جهود جبارة من أجل تطوير هذا النوع من الإبداع، إبداع من شأنه:

- تبصير المرأة بمهمتها الرسالية التي خلقت من أجلها، وتوعيتها حتى تقوم بها على أحسن وجه فتشارك في كل المجالات الحيوية إلى جانب تربيتها لأبنائها تربية صحيحة.
- المساهمة في عملية التغيير المنشود الذي ينبغي أن تجند في سبيله كل الطاقات والأساليب المتاحة.
- عدم ترك أصحاب الفكر المتغرب يصولون ويجولون في الساحة كما يحلو لهم، وإنما يجب تقديم نماذج أدبية إبداعية تفرض نفسها بقوتها وتوفيرها لمقومات الإبداع الناجح والمتكامل.
- إبراز تهافت الشعارات الغربية عن الحرية والمساواة، إذ لم تؤد إلا إلى مزيد من المشكلات والأمراض الأخلاقية والجنسية التي استعصت على العلاج ■